

بين حقيقة الإيمان وظاهرة الإلحاد

د. نعمان نافع عبيد الكبيسي
كلية الآداب، الجامعة العراقية، العراق

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الوقوف على مفهوم كل من الإيمان والإلحاد، وليس مقصوده بين الإيمان بشكل عام بل بيان معاني الإيمان الفطري، الراسخ في الفطرة الإنسانية السليمة، بغض النظر عن الانتماء للدين، والذي يمكن عن طريقه مقارنة الإلحاد وقهره.

ويهدف البحث إلى إظهار معالم وآثار الإيمان الفطري في الدين الإسلامي، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، لذا جاء البحث مكوناً من مقدمة ومبحثين وخاتمة.

اعتمد الباحث في هذا البحث ثلاثة مناهج من مناهج البحث العلمي، وهي: المنهج الاستقرائي: من خلال تتبع المادة العلمية ذات العلاقة بموضوع البحث، والمنهج الوصفي: لبيان مفهوم الإيمان الفطري والإلحاد، والمنهج التحليلي: وذلك بتناول مواضيع البحث وتحليل وجه دلالتها، ومناقشتها وعرض ثمراتها.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج من أبرزها، أن الإيمان بوجود الله تعالى إيمان ذاتي يقوم على الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وقد أخذ الله تعالى الميثاق والعهد على بني آدم جميعاً، ومن مظاهر استقامة الفطرة الإنسانية التي جبل الله تعالى الناس عليها، اللجوء إلى الله تعالى فطرياً عند الضرر والشدائد.

الكلمات المفتاحية: الإيمان الإلحاد، الفطرة، ظاهرة، الميثاق.

Between the Reality of Faith and the Phenomenon of Atheism

Dr. Nouman Nafi Obeid Al-Kubaisi
College of Arts, Al-Iraqia University, Iraq

ABSTRACT

This research aims to look into the concept of both faith and atheism, as well as to explain the meanings of innate faith, rooted in the sound human nature, regardless of religious affiliation, through which atheism can be confronted and overcome.

The study seeks to highlight the features and effects of innate faith in Islam, through the Quran and the prophetic traditions. The research is structured into an introduction, two sections, and a conclusion .

The researcher relied on three scientific research methods in this study: the inductive method, by tracing scientific material related to the research topic; the descriptive method, to explain the concept of innate faith and atheism; and the analytical method, by addressing the research topics, analyzing their meanings, discussing them, and presenting their results.

The research reached several results, the most prominent of which is that belief in the existence of God is an innate belief based on the natural disposition that God created people with. God has taken the covenant from all of humanity, and one of the signs of the uprightness of the human disposition that God endowed people with is turning to God naturally in times of need and hardship.

Keywords: belief, atheism, natural disposition, phenomenon, covenant.

المقدمة

في ظل التطور العلمي والتكنولوجي والانفتاح الإعلامي بمختلف صوره، وسهولة نقل وتلاقح الأفكار والمعلومات، تظهر مشكلة الإلحاد كواحدة من التحديات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية، حتى كثرت التساؤلات حول مواجهة هذا الموضوع الخطير الذي يهدد البناء العقدي عند المسلمين، فأصبح من الضروري توعية المسلمين بمفهوم الإلحاد وحقيقته، وترسيخ جذور العقيدة، الصحيحة وتعميق الإيمان الفطري الحقيقي في نفوسهم، الذي أودعه الله تعالى: في آدم -عليه السلام- وذريته. الإيمان الداعي إلى رفض أفكار وظنون الملحدين التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية الصحيحة ومع طبيعة الفطرة البشرية، والقيم الدينية والاجتماعية. فجاء هذا البحث الموسوم بـ "بين حقيقة الإيمان وظاهرة الإلحاد"، والذي يهدف إلى بيان مفهوم الإيمان الفطري، وآثاره في تعزيز وترسيخ الإيمان الحقيقي ودوره في دحض حجج الملحدين وأفكارهم المنحرفة.

مشكلة البحث:

يعد الإلحاد من الظواهر التي تدور حول فكرة الشك والأوهام، ولمواجهة هذه الشكوك ينبغي تحقيق اليقين العلمي والعقدي، ولذلك يمكن صياغة مشكلة البحث بالأسئلة الآتية:

- 1- ما هو معنى الإيمان الفطري؟.
- 2- ما المقصود بالإلحاد؟.
- 3- ما هو التكييف العقدي للإيمان الفطري؟.
- 4- كيف يواجه الإيمان الفطري أفكار الإلحاد وما هي أدواته؟.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث بما يأتي:

- 1- فهم ظاهرة الإلحاد باعتبارها مشكلة فكرية خطيرة يتعرض لها المسلمون للطعن في دينهم وعقيدتهم.
- 2- المساهمة في إثراء الفكر الإسلامي عن طريق تطوير الحجج والبراهين والردود العلمية والمنطقية على الشبهات والأفكار الإلحادية.
- 3- الفهم والإدراك للعقيدة الإسلامية والإيمان الحقيقي، وتطوير مهارات النقد البناء لدى الباحثين والمتقنين لمواجهة الأفكار المنحرفة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى معرفة ودراسة ما يأتي

- 1- معرفة حقيقة الإيمان الفطري في الدين الإسلامي.
- 2- بيان أصول وثوابت الإيمان الفطري.
- 3- إيجاد الحلول الواقعية لمواجهة الإلحاد، وبيان آثار الإيمان الفطري على الإلحاد وأفكاره.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث وسؤال ذوي العلاقة والاختصاص لم أجد من تناول هذا العنوان بالبحث والدراسة، ولكن وجدت من البحوث تدور حول ظاهرة الإلحاد، فمنها:

1- بحث بعنوان: "الإلحاد المعاصر - سماته، وآثاره وأسبابه وعلاجها" إعداد: سوزان بنت رفيق بنت إبراهيم المشهراوي، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، 1439هـ، تناولت الباحثة فيه التعريف بالإلحاد المعاصر وأنواعه وآثاره على المجتمع.

2- بحث بعنوان: "المنهج القرآني في معالجة ظاهرة انتشار الفكر الإلحادي"، إعداد: م. د. فاضل عباس فاضل، الجامعة العراقية - كلية القانون والعلوم السياسية، تناول البحث تعريف الإلحاد من خلال القرآن الكريم وبيان الألفاظ ذات الصلة بالإلحاد كالحداثة، الاستشراق، العلمانية، وبين الباحث طرق مواجهة الإلحاد من خلال القرآن الكريم عن طريق الإيمان بالله تعالى والتسلح بالعلم واعتماد أسلوب الحوار القرآني وهي أفضل الوسائل.

3- بحث بعنوان: "دور الإلحاد في هدم الأمن المجتمعي"، إعداد: أ. د. ثائر إبراهيم خضير، كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد، اهتم الباحث بالآثار السلبية للإلحاد على البناء المجتمعي وتهديد السلم الأهلي.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث ثلاثة مناهج من مناهج البحث العلمي، وهي: المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع المادة العلمية ذات العلاقة بموضوع البحث، والمنهج الوصفي: لبيان مفهوم الإيمان الفطري والإلحاد، والمنهج التحليلي: وذلك بتناول مواضيع البحث وتحليل وجه دلالتها، ومناقشتها وعرض ثمراتها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة تضمنت مشكلة البحث وأسباب اختيار الموضوع، ومبحثين المبحث الأول بعنوان: تمهيد في مقدمات الإيمان ومفهوم الإلحاد، ويتكون من مطلبين، المطلب الأول: التعريف بالإيمان وأدلتها، والمطلب الثاني: تعريف الإلحاد وأنواعه، أما المبحث الثاني فهو بعنوان: التأصيل العقدي للإيمان الفطري وأثره في نقض الإلحاد. ويتكون من مطلبين، المطلب الأول: تعلق الإيمان بالفطرة الإنسانية، والمطلب الثاني بعنوان: من مظاهر الإيمان الفطري، ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات، وأخيراً قائمة بأهم المصادر المعتمدة.

المبحث الأول: تمهيد في مقدمات الإيمان ومفهوم الإلحاد، ويتكون من مطلبين،

المطلب الأول: التعريف بالإيمان وأدلتها

الفرع الأول: الإيمان في اللغة والاصطلاح

أولاً: الإيمان في اللغة:

قال الخليل: "أمن: الأمن: ضد الخوف، والفعل منه: أمن يأمن أمناً. والمأمن: موضع الأمن. والأمنة من الأمن، اسم موضوع من أمنت، والأمان: إعطاء الأمانة. والأمانة: نقيض الخيانة، والمفعول: مأمون وأمين.

ومؤمن من اتقنه، والإيمان: التصديق نفسه⁽¹⁾، وجاء في تهذيب اللغة: "وأما الإيمان فهو مصدر: آمن يؤمن إيماناً؛ فهو مؤمن، واتق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه: التصديق⁽²⁾."

وقال ابن فارس: "أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان"⁽³⁾.

والإيمان له استعمالان في لغة العرب: فيتعدى تارة بنفسه فيكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان، وأمنته ضد أخفته، قال تعالى: ﴿أَلَدَيْتَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنْتَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾⁽⁴⁾، وتارة يتعدى بالباء أو باللام قال تعالى: ﴿فَأَمِنْ لَهُ لُوطٌ﴾⁽⁵⁾، وتارة يتعدى الكلام بالباء، فيكون معناه التصديق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾⁽⁶⁾، أي بمصدق⁽⁷⁾.

فالإيمان في معناه اللغوي يدور حول معاني التصديق والإقرار والثبات الذي يحقق السكينة والطمأنينة، قالوا للخليل: ما الإيمان؟ فقال: الطمأنينة⁽⁸⁾.

ثانياً: الإيمان في الاصطلاح

قال الجرجاني: "الإيمان: هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، وقيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر، والإيمان على خمسة أوجه: إيمان مطبوع، وإيمان مقبول، وإيمان معصوم، وإيمان موقوف، وإيمان مردود، فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم هو إيمان الأنبياء، والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف، هو إيمان المبتدعين، والإيمان المردود، هو إيمان المنافقين"⁽⁹⁾.

ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد، فالمختار إذا أن لفظة آمن لغة بمعنى أقر، والإيمان لغة هو الإقرار القلبي، وهذا الإقرار

(1) الخليل: أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، باب النون والميم، 8/389-388.
(2) الأزهري: محمد بن أحمد بن أبو منصور الهروي (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط، 2001م، 15/368، وينظر: ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 13/23.
(3) ابن فارس: أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، 1/123.

(4) [قريش: ٤]

(5) [العنكبوت: ٢٦]

(6) [يوسف: 17]

(7) السقاف: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ غلوي بن عبد القادر، الموسوعة العقدية موقع الدرر السنية على الإنترنت، dorar.net، عدد الأجزاء: 11، تم تحميله في، ربيع الأول 1433هـ، 5/346.

(8) ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، 15/370.

(9) الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م، 1/40.

مشتغل على أمرين: الأول: اعتقاد القلب وهو تصديقه بالأخبار، والثاني: عمل القلب وهو إذعانه وانقياده للأوامر⁽¹⁾.

قال ابن عبد البر: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان"⁽²⁾.

ونقل عن الشافعي أنه قال: "الإيمان هو التصديق والإقرار والعمل، فالمخل بالاول وحده منافق، وبالثاني وحده كافر، وبالثالث وحده فاسق ينجو من الخلود في النار ويدخل الجنة"⁽³⁾.

وقد بوب البخاري تحت كتاب الإيمان باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «بني الإسلام على خمس» وهو قول وفعل، ويزيد وينقص، قال الله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إيمَانًا مَعَ إيمَانِهِمْ﴾⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾⁽⁵⁾،⁽⁶⁾.

قال الشافعي: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر"⁽⁷⁾.

قال الأحمـد نكري: "وقال بعضهم إن مسمى الإيمان هو مجموع التصديق المذكور والإقرار باللسان والعمل بالأركان فهو حينئذ مركب من ثلاثة أمور، وهذا مذهب جمهور المتكلمين والمحدثين والفقهاء والمعتزلة والخوارج إلا أن جمهور المتكلمين والمحدثين والفقهاء لم يجعلوا العمل بالأركان ركناً لأصل الإيمان بل للإيمان الكامل فتارك العمل عندهم مؤمن وليس بمؤمن كامل. فإنهم ذهبوا إلى أن تارك العمل ليس بخارج عن الإيمان ودخوله في الجنة وعدم خلوده في النار مقطوعان، وعند الخوارج والمعتزلة العمل ركن لأصل الإيمان فتارك العمل خارج عن الإيمان وداخل في الكفر عند الخوارج وغير داخل في الكفر عند المعتزلة لأنهم قائلون بالمنزلة بين المنزلتين"⁽⁸⁾.

(1) البدر: عبد الرزاق بن عبد المحسن، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، المحقق: مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، السعودية، ط1، 1416هـ - 1996م، 1/231.

(2) ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، 9/238.

(3) التهانوي: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد الفاروقي الحنفي (ت: بعد 1158هـ)، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، 1/300.

(4) [الفتح: 4]

(5) [الكهف: 13]

(6) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، 1/10.

(7) اللالكائي: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت: 418هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط8، 1423هـ - 2003م، 5/956.

(8) الأحمـد نكري: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت: ق 12هـ)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م، 1/149.

قال الراغب: " والإيمان يستعمل تارة اسما للشيعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى ذلك: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيِّئُونَ﴾⁽¹⁾، ويوصف به كل من دخل في شريعته مقرا بالله وبنبوته. قيل: وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾⁽²⁾، وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾⁽³⁾ "(4).

الفرع الثاني: الأدلة على ثبوت الإيمان

الإيمان كما بينا في المطلب السابق أنه اعتقاد وقول وعمل، وفيما يلي أدلة هذه الركائز الثلاثة وكما يلي:
أولاً: الإيمان اعتقاد بالقلب: قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾⁽⁵⁾، قال الخازن: "وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالإيمان فيه دليل على أن محل الإيمان هو القلب ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يعني في الآخرة"⁽⁶⁾.

وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم - إلى أن القلب هو محل الإيمان روى ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم - دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك؟» قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف»⁽⁷⁾.

ثانياً: الإيمان قول باللسان: قال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآلَاسْرَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁸⁾، قال النسفي: " هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل"⁽⁹⁾.

(1) [المائدة: 69]

(2) [يوسف: 106]

(3) [الحديد: 19]

(4) الراغب: أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412هـ، 1/91.

(5) [النحل: 106]

(6) الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن (ت: 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 3/101.

(7) ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب: الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، 2/1423، رقم: 4261، الحديث حسنه الألباني، ينظر: التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، (ت: 741هـ)، مشكاة المصابيح، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م، 1/506، رقم: 1612.

(8) [البقرة: 136]

(9) النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بدوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م، 1/133.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم - هذا المعنى فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله»⁽¹⁾.

قال النووي: " وفيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد جمع ذلك - صلى الله عليه وسلم - بقوله أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به"⁽²⁾.

ثالثاً: إيمان عمل بالجوارح: قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾⁽³⁾، قال السمعاني: "قال البر: كل عمل خير، يفضي بصاحبه إلى الجنة"⁽⁴⁾. وقال ابن بطال: "إن كمال الإيمان بإقامة الفرائض والسنن والרגائب، وأن الإيمان قول وعمل بخلاف قول المرجئة"⁽⁵⁾.

ومن الجدير بالذكر أن العديد من آيات القرآن الكريم قد تضمنت عناصر الإيمان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ﴾⁽⁶⁾، قال الرازي: "فقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾ إشارة إلى عمل القلب، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ إشارة إلى عمل اللسان، وقوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ إشارة إلى عمل الجوارح، ثم إن هذه الأشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله والشفقة على خلقه"⁽⁷⁾.

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الصلاة، باب: باب فضل استقبال القبلة، 1/87، رقم: 392، مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب: الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم: 25، 521، رقم: 21.

(2) النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، 1/212.

(3) [البقرة: 177]

(4) السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ)، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ - 1997م، 1/171.

(5) ابن بطال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م، 1/61.

(6) [فاطر: 28-29]

(7) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، 237/26.

وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم - أعمال الجوارح إيماناً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من صام رمضان، إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽¹⁾. قال ابن رجب: " أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضاً، وذكرنا ما يدخل في ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة، ويدخل في مسماها أيضاً أعمال الجوارح الباطنة، فيدخل في أعمال الإسلام إخلاص الدين لله، والنصح له ولعباده، وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد، وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك"⁽²⁾.

المطلب الثاني: تعريف الإلحاد وأنواعه

الفرع الأول: تعريف الإلحاد

أولاً: الإلحاد في اللغة:

قال ابن دريد: "وألحد الرجل إلحاداً إذا مال عن القصد فهو ملحد، وسمي اللحد لحدائه لأنه ميل به في أحد جولي القبر، وكل مائل عن شيء لآخذ وملحد ولا يقال له لآخذ ولا ملحد حتى يميل عن حق إلى باطل، وقد سمي اللحد ملحداً والجمع ملحد ورُبما سمي ملحداً"⁽³⁾.

وقال ابن السكيت: "المُلْحِدُ: العَادِلُ عَنِ الْحَقِّ، الْمُذْخِلُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، قَدْ أَلْحَدَ فِي الدِّينِ وَلَحَدَ"⁽⁴⁾. "ألحد: أي ترك القصد، وألحد إليه: أي مال إليه، وألحد: أي جادل ومارى، وقال الأحمر: ألحد بالهمزة: أي جادل ومارى، ولحد، بغيره: أي جار ومال"⁽⁵⁾.

وجاء في مختار الصحاح: "ل ح د: ألحد في دين الله أي حاد عنه وعدل، ولحد من باب قطع لغة فيه، ...ألحد الرجل ظلم في الحرم"⁽⁶⁾.

ومما تقدم من تعريفات لغوية للإلحاد يظهر للباحث أن الإلحاد في اللغة يدور حول معاني الميل والظلم والجدال.

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: صوم رمضان احتساباً من الإيمان، 1/16، رقم: 38، مسلم: صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، 2/523، رقم: 760.

(2) ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السلافي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1424هـ - 2004م، 1/117.

(3) ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، باب: ح د م، 1/505.

(4) الأزهري: تهذيب اللغة، (باب الحاء والدال مع الزاء)، 4/243.

(5) الحميري: نشوان بن سعيد اليميني (ت: 573هـ) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 142هـ - 1999م، 9/6023.

(6) أبي بكر الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن بن عبد القادر الحنفي (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ - 1999م، باب: ل ح د، 1/280.

ثانياً: الإلحاد في القرآن الكريم:

ذكر الله تعالى الإلحاد في القرآن الكريم على سبيل الذم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾، قال الطبري: "أصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض، ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم"⁽²⁾.

ومن معاني الإلحاد في القرآن الكريم الميل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾⁽³⁾، قال ابن عاشور: "فمعنى يلحدون يميلون عن الحق لأن ذلك اختلاق معاذير، فهم يتركون الحق القويم من أنه كلام منزل من الله إلى أن يقولوا يعلمه بشر، فذلك ميل عن الحق وهو إلحاد"⁽⁴⁾.

وحذر الله تعالى عباده من الإلحاد في أسمائه سبحانه فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ﴾⁽⁵⁾، قال الشنقيطي: "ومعنى إلحادهم في أسمائه هو كاشتقاقهم اسم اللات من اسم الله، واسم العزى من اسم العزيز، واسم مناة من المنان، ونحو ذلك"⁽⁶⁾.

وتوعد الله تعالى من يلحد ببيته الحرام أشد العذاب قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾⁽⁷⁾، قال البغوي: "أي: في المسجد الحرام بالإلحاد بظلم وهو الميل إلى الظلم، الباء في قوله "بالإلحاد" زائدة كقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَاكَ الْكُفْرُ﴾⁽⁸⁾، ومعناه من يرد فيه إلحاداً بظلم"⁽⁹⁾.

ثالثاً: الإلحاد في الاصطلاح:

عرف الطبري الإلحاد فقال: هو الميل، وقد يكون ميلاً عن آيات الله، وعدولاً عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية، ويكون مفارقة لها وعناداً، ويكون تحريفاً لها وتغييراً لمعانيها"⁽¹⁰⁾.

(1) [الأعراف: ١٨٠]

(2) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، 14/283.

(3) [النحل: ١٠٣]

(4) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، 14/287.

(5) [فصلت: ٤٠]

(6) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت: 1393هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م، 2/45.

(7) [الحج: 25]

(8) [المؤمنون: 20]

(9) البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ - 1997م، 5/377.

(10) الطبري: جامع البيان، 21/478.

وعرفه الماتريدي: "الإلحاد هو الجور والميل عن الحق، والوضع في غير موضعه، وهم سموا ملحدين لما سموا غيره بأسمائه، أو لإشراك غيره في أسمائه، وسموا بذلك لما صرفوا شكر نعمه إلى غيره، وعبدوا دونه، مع علمهم أنه لم يكن منهم إلههم شيء من ذلك، إنما كان ذلك لهم من الله" (1).
وقال القشيري: "الإلحاد هو الميل عن القصد، وذلك على وجهين بالزيادة والنقصان فأهل التمثيل زادوا فألحدوا، وأهل التعطيل نقصوا فألحدوا" (2)، وعرفه الألباني: "الإلحاد هو إنكار الدين" (3)، وعرفه الكفوي: "هو الميل عن الحق" (4).

قال ابن حميد: الإلحاد: هو الميل عن الحق والعدل عنه فيما يتعلّق بأسماء الله تعالى أو بيته الحرام أو بآياته الكرام في دلالتها أو فيمن تنزلت عليه.
أنواع الإلحاد: الإلحاد ضربان، أحدهما: إلى الشّرك بالله، والثّاني: إلحاد إلى الشّرك بالأسباب. فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثّاني يوهن عراه ولا يبطله" (5).
وعرفه حبنكة: إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويُجري أحداثه بإرادته وقدرته" (6).

والإلحاد في الأصل التكذيب، ويقال: الإلحاد في آيات الله، والإلحاد في أسماء الله، والإلحاد في صفات الله، فكل ذلك يسمى إلحاداً، فالإلحاد في آيات الله معناه: ضرب بعض القرآن ببعض أو الأخذ بمتشابهه، والإلحاد في أسماء الله معناه: إقرار الاسم وإنكار مدلوله، والإلحاد في صفات الله معناه: إنكارها وتعطيلها، فكل هذا يدخل في الإلحاد، والإلحاد هو أعم من هذا، فمنه الإلحاد المطلق، ومعناه: إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، وإنكار بعثة الرسل ونحو ذلك، فهذا أعظم الإلحاد (7).

والإلحاد الذي وجد في هذا العصر هو إلحادٌ مادي قوي ينكر وجود الخالق -فضلاً عن استحقاقه العبادة واتباع رسله وتحكيم شرعه- قامت على أساس هذا الإلحاد دول ووضعت له فلسفات ومناهج تعليم وإعلام، واتخذت لنشره والدعوة إليه وسائل تبدأ بالإعلام وتنتهي بالسلاح، وخذعت به عقول واستجابت له حكومات،

(1) الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ - 2005م، 5/99.

(2) القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1/591.

(3) الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت: 1420هـ)، موسوعة الألباني، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، صنعاء، اليمن، ط1، 1431هـ - 2010م، 4/320.

(4) الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1/490.

(5) ابن حميد: صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، 9/3982.

(6) حبنكة: عبد الرحمن بن حسن، كواشف زیوف، دار القلم، دمشق، ط2، 1991م، 1/433.

(7) ينظر: الدو: محمد الحسن الشنقيطي، سلسلة الأسماء والصفات، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، 1/7.

والجديد في هذا الإلحاد هو انتشاره وقيام دول على أساسه، وقد كان في الأزمان الماضية مغموراً لا يوجد إلا لدى أفراد أو جماعات قليلة لا وزن لها بين الناس⁽¹⁾.

الإلحاد: مذهب فلسفي كلامي يقوم على فكرة عدمية تعتمد إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، أساساً لها، فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت⁽²⁾.

"وكما أن النهضة العلمية والفكرية نشأت في أوروبا في ظلال الإلحاد فكذلك امتدت جذورها وفروعها إلى سائر البلاد وهي تحمل سمة الإلحاد والتكرار القاطع لكل ما لا يقع تحت التجربة ويخضع للحواس، ولا مجال هنا لمناقشة الملاحظة في تنكرهم لحقائق الدين الكبرى، ولكنها الإشارة إلى أن الإلحاد هو السمة البارزة لحضارة اليوم وهو مظهر من أكبر مظاهر الغزو الفكري لبلادنا"⁽³⁾.

والمراد بالملحدين في هذا المبحث: هو المعنى المصطلح عليه في هذا العصر، وهم: من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدير أمره بعلمه وحكمته⁽⁴⁾.

رابعاً: أنواع الإلحاد⁽⁵⁾

- 1- الإلحاد الفلسفي: وهو الذي ولد في سياق الصراع الفلسفي الممتد حول وجود إله، وهذا الصراع موجود بين الفلاسفة منذ العصور القديمة، والذي طرحت في ظله الكثير من التساؤلات الجوهرية التي شغلت الفلاسفة من قبيل أصل الخلق وجذور الخير والشر ومصير الإنسان وما شابه ذلك، وهذا النوع هو الغالب، وغير معروف عن عديد من المناظرين، لكنه منتشر بين طلبة الجامعات والعلوم الإنسانية.
- 2- الإلحاد العلمي: وهو الذي يعتمد على نظريات علمية سواء في مجال العلوم النظرية والإنسانية، كالتدين في علوم الاجتماع وعلم النفس والتربية وغيرها من العلوم الإنسانية، أم في مجال العلوم التجريبية أو العلوم الكونية، كالمعتمد على نظرية النشوء والارتقاء، وهو الإلحاد الممجد للعلم، وهذا النوع معروف في الساحة العربية، نظراً للانبهار بما حققته العلوم التجريبية من اكتشافات وله قوة إعلامية.
- 3- الإلحاد الشهواني: وهو الذي ينشأ من اتباع الشهوة ومخالفة الدين، ومن العجز عن الالتزام بالمبادئ والقيم الأخلاقية، أو الجهل بمراتب الأعمال، وبمعاني التوبة والتكفير عن الخطايا والذنوب، وغالباً يترك هذا النوع صاحبه في دوامة وصراع نفسي وقلق واضطرابات قد تؤدي به إلى الانتحار.

(1) الأهدل: قادري عبد الله، السباق إلى العقول، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، 1/349.

(2) ينظر: الجهني: مانع، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية، ط4، 1429هـ، 2/803.

(3) ممدوح: فخري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الغزو الفكري، ط: السنة الأولى - العدد الأول - رجب 1389هـ، 1/26.

(4) القحطاني: سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط1، 1423هـ، 1/341.

(5) دار علي: فيصل مصطفى حسن، بحث: الفكر الإلحادي وأثره على مقاصد الشريعة الإسلامية، مجلة القنطار للعلوم الإنسانية والتطبيقية، سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن، 2025/11/30م، 1/32.

المبحث الثاني: التأصيل العقدي للإيمان الفطري وأثره في نقض الإلحاد المطلب الأول: تعلق الإيمان بالفطرة الإنسانية

إن مما أكدّه ربنا سبحانه في كتابه الكريم أن الإنسان هو خلق الله قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ دَلِكُمْ مِمَّنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١)، يخبر ربنا سبحانه أنه المنفرد وحده بخلق الإنسان ورزقه وموته، وأنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون من يشارك الله في شيء من هذه الأشياء، فكيف يجحد الجاحدون وجود الله تعالى، وهو وحده سبحانه من انفرد بهذه الأمور، وليس لأحد غير الله تعالى تصرف فيها بوجه من الوجوه^(٢).

ومما خلق الله تعالى الفطرة الإنسانية، والمقصود بالفطرة ما جبل الله -عز وجل- الإنسان عليه في أصل الخلقة من معرفته بربه سبحانه، والإيمان به، قال الخليل: "فطر الله الخلق، أي: خلقهم، وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السماوات والأرض. والفطرة: التي طبعت عليها الخليقة من الدين. فطرهم الله على معرفته بربوبيته"^(٣) وقال المطرزي: "الفطر: إيجاد الشيء ابتداءً وابتداعاً ويقال فطر الله الخلق فطرا إذا ابتدعهم (والفطرة) الخلقة وهي من الفطر كالخلقة من الخلق في أنها اسم للحالة ثم إنها جعلت اسما للخلقة القابلة لدين الحق على الخصوص"^(٤).

وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥)، قال ابن عادل: "وقوله تبارك وتعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، إشارة منه إلى ما فطر، أي: أبدع وركز الناس من معرفته ما ركز، ففطرة الله ما ركز من القوة المدركة لمعرفته، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾^(٦)^(٧). قال ابن كثير: "وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره"^(٨).

وقال ابن عطية: "والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة، أنها الخلقة والهيئة في نفس الطفل، التي هي معدة مهياة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به"^(٩).

(١) [الروم: ٤٠]

(٢) ينظر: السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، 1/643.

(٣) الخليل: العين، 7/418.

(٤) المطرزي: ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي (المتوفى: 610هـ)، المغرب، دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، 1/363.

(٥) [الروم: ٣٠]

(٦) [الزخرف: 87]

(٧) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، 8/55.

(٨) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م، 6/313.

(٩) ابن عطية: البحر الوجيز، 4/336.

فكل مخلوق فُطر على الإيمان بالله - عز وجل -، من غير تفكير أو تعليم، ولا يجهل أو ينكر وجود الله إلا المعاند ومن انتكست فطرته، إذ ما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرته - سبحانه وتعالى -، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: ﴿فُطِرَ اللَّهُ أَلَى فُطَرِ النَّاسِ عَلَيْهَا﴾⁽¹⁾ (2).

قال العيني في معنى الفطرة: "والمعنى بها ههنا: تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلية والتهية لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، لأن هذا الدين حسنه موجود في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية، والتقليد"⁽³⁾.

وقال ابن قتيبة: "أما قوله كل مولود يولد على الفطرة فإنه يريد أنه يولد على الإقرار بالله وهو الميثاق الذي أخذه الله عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم أمثال الدر ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، فالناس جميعا وإن اختلفوا في أديانهم ونحلهم، عالمون بأن الله - عز وجل - خالقهم"⁽⁴⁾.

ودليل الفطرة أن الله تعالى أخذ العهد والميثاق من بني آدم وأشهدهم على وجوده ووحدانيته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾⁽⁵⁾، وروى أبو داود في سننه قال: سمعت حماد بن سلمة، يفسر حديث «كل مولود يولد على الفطرة» قال: هذا عندنا حيث أخذ الله عليهم العهد في أصلاب آبائهم حيث قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾⁽⁶⁾.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ "معنى الآية أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض، قالوا: معنى ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ دلهم بخلقه على توحيده، لأن كل بالغ يعلم ضرور أن له ربا واحدا." ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، أي قال، فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، والإقرار منهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾⁽⁷⁾ (1).

(1) [الروم: 30]

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصل على عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، 2/94، رقم: 1358، مسلم: صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، 4/2047، رقم: 2658.

(3) العيني: عمدة القاري، 8/177.

(4) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ)، غريب الحديث، المحقق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397هـ، 350-1/351.

(5) [الأعراف: 172]

(6) أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب: السنة، باب في ذراري المشركين، 4/230، رقم: 4716، قال الألباني: صحيح الإسناد مقطوع، ينظر: الألباني: محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، صحيح وضعيف سنن أبي داود، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، فهرسة: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث، 1/2، رقم: 4716.

(7) [فصلت: 11]

وقال ابن كثير: " يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (2) (3).

وقال ابن مهران العسكري: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ (4)، أي يستكف عن الإقرار بالعبودية ويستكبر عن الاعتراف بالطاعة (5)، وقال النحاس: "ومعنى: جبار القلوب: مقيمها ومثبتها على ما فطرها عليه من معرفته والإقرار به" (6).

قال الشنقيطي: "أن إلهادهم على أنفسهم، إنما هو بما نصب لهم من الأدلة القاطعة بأنه ربهم المستحق منهم لأن يعبدوه وحده، وعليه فمعنى قالوا بلى، أي: قالوا ذلك بلسان حالهم لظهور الأدلة عليه" (7).

وقال ابن خزيمة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (8)، فأضاف الله الأرض إلى نفسه، إذ الله تولى خلقها فبسطها، وقال: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (9)، فأضاف الله الفطرة إلى نفسه إذ الله فطر الناس عليها، فما أضاف الله إلى نفسه على معنيين: أحدهما: إضافة الذات، والآخر: إضافة الخلق فتفهموا هذين المعنيين، لا تغالطوا" (10).

فالفطرة تعني أن الإنسان في بنيته النفسية والعقلية استعداداً أصيلاً للإقرار بالخالق لا تعني أن الإنسان يولد حافظاً للتفاصيل العقدية أو حاملاً لكتاب في التوحيد، وإنما تعني، والبحث عن المعنى، والتوجه إلى قوة عليا، والشعور بالحاجة إلى ما يتجاوز حدود الإنسان وقدرته، قال البيهقي: "يريد ما وصفه في عقولهم من إمكان معرفته ووحدانيته وقده به، ويكون المعنى: الزم ما في عقلك من هذا، ولا تخالفه إلى غيره" (11).

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 7/314.

(2) [الروم: 30]

(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 3/500.

(4) [النساء: 172]

(5) ابن مهران العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى (المتوفى: نحو 395هـ) معجم الفروق اللغوية، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط1، 1412هـ، 1/50.

(6) اللُّخَّاس: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، عمدة الكتاب، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط1، 1425هـ - 2004م، 1/306.

(7) الشنقيطي: أضواء البيان، 2/42.

(8) [الأعراف: 128]

(9) [الروم: 30]

(10) ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: 311هـ)، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط5، 1414هـ - 1994م، 1/86.

(11) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ)، القضاء والقدر المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 1421هـ - 2000م، 1/360.

وقال السعدي: "أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم، قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم، فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير وتبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة" (1).

المطلب الثاني: من مظاهر الإيمان الفطري

أولاً: صدق اللجوء إلى الله تعالى:

إن وجود الله - عز وجل - من الأمور المتعمقة في الفطرة البشرية السوية، فكل إنسان يشعر ويوقن داخل نفسه بأن له خالقاً، ويشعر بعظيم الحاجة إليه، فيتجه ببيده وعينه وقلبه إلى السماء، لطلب العون من خالقه، والناس جميعاً المؤمن منهم والكافر يشتركون في اللجوء إلى الله الخالق سبحانه عند الشدائد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال محمد رضا: "إن الإنسان إذا أصابه من الضر ما يشعر بشدة ألمه أو خطره من إشراف على غرق وغيره من أنواع التهلكة، أو شدة مسغبة، أو إعضال داء دعانا ملحا في كشفه عنه في كل حال يكون عليه: دعانا مضطجعا لجنبه، أو قاعدا في كسر بيته، أو قائما على قدميه حائرا في أمره، فهو لا ينسى حاجته إلى رحمة ربه، ما دام يشعر بمس الضر ولذعه له، يعلم من نفسه العجز عن النجاة منه، قدم من هذه الحالات الثلاث ما يكون الإنسان فيها أشد عجزا وأقوى شعورا بالحاجة إلى ربه فالتفتي تليها فالتفتي تليها" (2). فالإنسان ولو كان مشركاً أو ملحداً يفرغ عند المصيبة إلى ربه سبحانه، ويلتجئ إليه وحده دون غيره من المعبودات الباطلة، ويشعر في قرارة قلبه بافتقاره واحتياجه إلى ربه، وإن أظهر غير ذلك جهلاً وتكبيراً منه واعتزازاً بالإنتم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الْإِيمَانَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (3)، قال الخازن: "لجئوا إلى الله تعالى بالدعاء فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون، أي عادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك والعناد" (4).

وقال الألوسي: "أي كائنات في صورة من أخلص دينه وولته أو طاعته من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله تعالى ولا يدعون سواه سبحانه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو عز وجل" (5).

ومن ثم فرجوع الإنسان إلى ربه سبحانه عند الشدة، برهان جلي على أن فطرته مقرة بوجود الله وربوبيته، وإن أظهر حال الرخاء عكس ذلك، فالفطرة السوية وإن غشيتها غاشية وضباب الإلحاد، تهتدي إلى الإيمان بوجود الله عز وجل وتقرده تعالى بالآلوهية ويظهر ذلك في أوقات الشدة والمحنة عند الكثير من المشركين والملحدين، فإن القلب بفطرته يفرغ إلى خالقه، ويلجأ إلى بارئه عند حلول الحوادث العظام والخطوب الجسام، قال قطب: "

(1) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 1/308.

(2) [يونس: ١٢]

(3) [العنكبوت: ٦٥]

(4) الخازن: لباب التأويل، 3/385.

(5) الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 11/14.

فالإنسان هكذا حقاً: حين يمسسه الضر، وتتعطل فيه دفعة الحياة، يتلفت إلى الخلف، ويتذكر القوة الكبرى، ويلجأ عندئذ إليها؛ فإذا انكشف الضر، وزالت عوائق الحياة، انطلقت الحيوية الدافعة في كيانه، وهاجت دواعي الحياة فيه، فلبى دعاءها المستجاب، و"مر" كأن لم يكن بالأمس شيء⁽¹⁾.

فمهما غفل الناس عن هذه الفطرة في حال السراء، فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء، لعلمهم الفطري أن الله الذي يكشف الشدائد، ولا ملجأ ولا منجأ منه إلا إليه، فيسألونه بلسان المقال ولسان الحال، فهل هذه الأمور تحصل إلا لأن الخليفة مفطورة على الاعتراف بربوبية الله ووحدانيته⁽²⁾.

ثانياً: مضمون دعوة الرسل -جل وعلا-:

جاءت دعوة الأنبياء والرسل جميعاً، لتوحيد الله تعالى، تتبثق من هذا الأصل وهو فطرية الإيمان بالله، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِىَ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمُ الْإِنسَانُ أَنتُمْ تَرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِإِثْبَاتٍ مُّبِينٍ﴾⁽³⁾، قال ابن كثير: "يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أمهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل: ﴿أَفِىَ اللَّهِ شَكٌّ﴾، وهذا يحتمل شيئين، أحدهما: أفي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه، والمعنى الثاني في قولهم: ﴿أَفِىَ اللَّهِ شَكٌّ﴾، أي: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى⁽⁴⁾.

ما أعظم هذا السؤال القرآني قال تعالى: ﴿أَفِىَ اللَّهِ شَكٌّ﴾، وما أعمقه دلالة، وما أبلغ أثره في النفس والعقل! فهو لا يبدأ مع المنكر من نقطة الصفر، ولا يعامل قضية الإيمان بالله كأنها فرضية غريبة عن الإنسان تحتاج إلى اختراع، وإنما يوقظ في أعماقه حقيقة كامنة، وفطرة ساكنة، قال الشعراوي: "وقوله: ﴿أَفِىَ اللَّهِ شَكٌّ﴾ هو لون من الخطاب الذي لا يترك لمن توجه إليه الكلام أن يجيب إلا كما تريد أنت، وأنت لا تفعل ذلك إلا إذا كنت واثقاً من أن من توجه إليه الكلام سيجيب - إن استحضر الحق في ذهنه - كما تريد أنت ولذلك لم يأت الخطاب هنا بقوله «لا شك في الله» وبذلك يكون الكلام خبرياً، وقد يقول واحد: إن هذا الكلام كاذب، ولكن على

(1) قطب: سيد إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، التصور الفني في القرآن، دار الشروق، ط17، 1/217.

(2) ينظر: القحطاني: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، 1/243.

(3) [إبراهيم: 10]

(4) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 4/482.

الرغم من أن المستمعين من الكفار، إلا أنه يأتي بالقضية في شكل تساؤل يستأمنهم على أنهم سوف يُديرون الكلام في رؤوسهم، وسيعثرون على الإجابة التي لا يمكن أن ينكرونها؛ وهي ليس في الله شك⁽¹⁾.

قال تعالى مقررًا الإيمان على خلقه بالفطرة التي فطرهم عليها، ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾⁽²⁾، قال السعدي: "أي: من هو الخالق للأرض ومن عليها، من حيوان، ونبات وجماد وبحار وأنهار وجبال، المالك لذلك، المدبر له؟ فإنك إذا سألتهم عن ذلك، لا بد أن يقولوا: الله وحده. فقل لهم إذا أقرروا بذلك: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أي: أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عندكم، مستقر في فطركم"⁽³⁾.

وإذا تتبعنا آيات القرآن الكريم وخصوصاً الآيات التي تحدثت عن الرسل ورسالاتهم إلى أممهم، لم تستطع أن تعثر على أمة تنكر وجود الله تعالى وشغل رسولها نفسه بإثبات هذا الوجود، بل الذي ثبت هو اعتراف الجميع بوجود خالق، وإنما جاء انحراف وضلال الأمم من عبادتها آلهة معينة كالأصنام والشمس والقمر وبعض الحيوانات والحشرات لتتقرب بها إلى الله تعالى، وتكون واسطة بين الإنسان وبين خالقه، ولذلك كانت دعوة الرسل منصبة على تحويلهم الأمم من عبادة غير الله إلى عبادة الله بدون وساطة⁽⁴⁾.

ثالثاً: إفراء الله تعالى بالعبودية:

العبادة هي حق الله وحده على جميع خلقه، ولأجلها خلقهم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونِ﴾⁽⁵⁾، قال القاسمي: "فالعبادة هي المطلوب الأول. غير أنه لا يمكن إلا بمعرفة المعبود. إذ المجهول لا يتوجه إليه ولا يقصد بعبادة ولا بغيرها، ومن جملة المعرفة به أنه أمر وناه وطالب للعباد بقيامهم بحقه"⁽⁶⁾.

فصرف العبادة لله وحده هو ما ينسجم وفطرة الإنسان التي فطر الناس عليها، وبخلافه يكون فساد وانحلال، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁽⁷⁾، قال ابن عاشور: "وبذلك يتبين أن هذه الآية استدلال على استحالة وجود آلهة غير الله بعد خلق السماوات والأرض، لأن المشركين لم يكونوا ينكرون أن الله هو خالق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾⁽⁸⁾، وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾⁽¹⁾، فهي مسوقة

(1) الشعراوي: تفسير الشعراوي، 12/7452.

(2) [المؤمنون: 84-89]

(3) السعدي: تفسير الكريم، 1/557.

(4) ينظر: أيوب: حسن محمد (المتوفى: 1429هـ)، تبسيط العقائد الإسلامية، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1403هـ - 1983م، 1/38.

(5) [الذاريات: 56]

(6) القاسمي: محاسن التأويل، 1/89.

(7) [الأنبياء: 22]

(8) [الزمر: 38]

لإثبات الوحدةانية لا لإثبات وجود الصانع إذ لا نزاع فيه عند المخاطبين، ولا لإثبات انفراده بالخلق إذ لا نزاع فيه كذلك، ولكنها منتظمة على ما يناسب اعتقادهم الباطل لكشف خطئهم وإعلان باطلهم⁽²⁾.

وقال ابن عثيمين: "أن وجوب العبادة علينا مما يقتضيه العقل بالإضافة إلى الشرع؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽³⁾، فإن الرب - عز وجل - يستحق أن يُعبد وحده، ولا يعبد غيره؛ والعجب أن هؤلاء المشركين الذين لم يمتثلوا هذا الأمر إذا أصابتهم ضراء، وتقطعت بهم الأسباب يتوجهون إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽⁴⁾، لأن فطرهم تحملهم على ذلك ولا بد⁽⁵⁾.

الخاتمة

بعد تمام البحث بفضل الله تعالى وكرمه يخلص الباحث إلى مجموعة من النتائج التوصيات وهي كما يلي:

أولاً: النتائج:

- 1- الإيمان هو التصديق والإقرار والعمل، فالمخلّ بالأول وحده منافق، وبالثاني وحده كافر، وبالثالث وحده فاسق ينجو من الخلود في النار ويدخل الجنة.
- 2- الإلحاد هو الميل نحو الباطل القائم على إنكار وجود الله تعالى والانسلاخ من العقائد والقيم، وهو على أنواع: الإلحاد العلمي: وهو الذي يعتمد على نظريات علمية سواء في مجال العلوم النظرية والإنسانية، الإلحاد الفلسفي: وهو الذي ولد في سياق الصراع الفلسفي الممتد حول وجود إله، وهذا الصراع موجود بين الفلاسفة منذ العصور القديمة، الإلحاد الشهباني: وهو الذي ينشأ من اتباع الشهوة ومخالفة الدين، ومن العجز عن الالتزام بالمبادئ والقيم الأخلاقية.
- 3- الإيمان بوجود الله تعالى إيمان ذاتي يقوم على الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وقد أخذ الله تعالى الميثاق والعهد على بني آدم جميعاً.
- 4- ومن مظاهر استقامة الفطرة الإنسانية التي جبل الله تعالى الناس عليها، اللجوء إلى الله تعالى فطرياً عند الضر والشدائد، دعوة الرسل والأنبياء إلى توحيد الله تعالى، العبودية لله تعالى وحده.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بما يراه ضرورياً في مواجهة الإلحاد بما يلي:

- 1- التركيز من قبل المؤسسات التربوية والتعليمية على المواضيع العقدية بما ينسجم والمتغيرات العصرية.

(1) [الزخرف:9]

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 17/39.

(3) [البقرة: ٢١]

(4) [لقمان: 32]

(5) العثيمين: محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421هـ)، تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ، 1/74.

2- الاهتمام من قبل الجهات المختصة بتثشة الجيل الجديد من الشباب بموضوع الإيمان الفطري
4- تكثيف الجهود البحثية من قبل الباحثين والمؤسسات العلمية المهمة بالدراسات والبحوث حول الإلحاد، وربطها بالمسائل العقدية والإيمانية للدين الإسلامي الحنيف، وخاصة فيما يتعلق في موضوع الإيمان الفطري، فهو مجال ثري بالمواضيع التي تستحق البحث والدراسة.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

- 1- الأحمد نكري: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت: ق 12هـ)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.
- 2- الأزهرى: محمد بن أحمد بن أبو منصور الهروي (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- 3- الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت: 1420هـ)، موسوعة الألباني، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، صنعاء، اليمن، ط1، 1431هـ - 2010م.
- 4- الألباني: محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، صحيح وضعيف سنن أبي داود، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، فهرسة: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث.
- 5- الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، روح المعاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- 6- الأهل: قادري عبد الله، السباق إلى العقول، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- 7- أيوب: حسن محمد (ت: 1429هـ)، تبسيط العقائد الإسلامية، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1403هـ - 1983م.
- 8- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- 9- البدر: عبد الرزاق بن عبد المحسن، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، المحقق: مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، السعودية، ط1، 1416هـ - 1996م.
- 10- ابن بطلال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م.

- 11- البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طبية للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ - 1997م.
- 12- أبو بكر الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن بن عبد القادر الحنفي (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ - 1999م.
- 13- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر (ت: 458هـ)، القضاء والقدر المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 1421هـ - 2000م.
- 14- التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، (ت: 741هـ)، مشكاة المصابيح، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م.
- 15- التهانوي: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد الفاروقي الحنفي (ت: بعد 1158هـ)، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.
- 16- الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.
- 17- الجهني: مانع، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية، ط4، 1429هـ.
- 18- حبنكة: عبد الرحمن بن حسن، كواشف زیوف، دار القلم، دمشق، ط2، 1991م.
- 19- ابن حميد: صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4.
- 20- الحميري: نشوان بن سعيد اليميني (ت: 573هـ) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 142هـ - 1999م.
- 21- الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن (ت: 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- 22- ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: 311هـ)، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط5، 1414هـ - 1994م.
- 23- الخليل: أبو عبد الرحمن بن أحمد بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- 24- دار علي: فيصل مصطفى حسن، بحث: الفكر الإلحادي وأثره على مقاصد الشريعة الإسلامية، مجلة القنطار للعلوم الإنسانية والتطبيقية، سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن،

- 25- أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- 26- الددو: محمد الحسن الشنقيطي، سلسلة الأسماء والصفات، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>.
- 27- ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
- 28- الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- 29- الراغب: أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
- 30- ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السلاوي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1424هـ - 2004م.
- 31- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
- 32- السقايف: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر، الموسوعة العقدية موقع الدرر السنية على الإنترنت، dorar.net.
- 33- السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ)، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ - 1997م.
- 34- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت: 1393هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م.
- 35- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
- 36- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
- 37- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ.

- 38- العثيمين: محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421هـ)، تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ.
- 39- ابن فارس: أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- 40- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ)، غريب الحديث، المحقق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397هـ.
- 41- القحطاني: سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط1، 1423هـ.
- 42- القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- 43- قطب: سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، التصور الفني في القرآن، دار الشروق، ط17.
- 44- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ - 1999م.
- 45- الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني أبو النقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 46- اللالكائي: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت: 418هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط8، 1423هـ - 2003م.
- 47- الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ - 2005م.
- 48- ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- 49- مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 50- المطرزي: ناصر بن عبد السيد أبي المكارم، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي (ت: 610هـ)، المغرب، دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 51- ممدوح: فخري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الغزو الفكري، ط: السنة الأولى - العدد الأول - رجب 1389هـ.
- 52- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

53- بن مهران العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سعيد بن يحيى (ت: نحو 395هـ)، معجم الفروق اللغوية، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط1، 1412هـ.

54- النَّحَّاس: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ)، عمدة الكتاب، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط1، 1425هـ - 2004 م.

55- النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.

56- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.